طفل يغـ ـرق

الأمواج تتدافع في البحر، مرة بنعومة ومرة صاخبة.. وكريم وجهاد يسبحان، ونورا تسير الهوينا على رمال الشاطئ ووسيم يدحرج طابة ثم يركلها بقدمه بقوة فتطيـر فـي الجو، فيتلقفها جهاد وقد أطربته المشاركة باللعب مع نورا ووسيم..

-انهم يشكلون فريقا رائعا.. قالت أسماء

-أنا لا أكتمك أنني قلقة كثيرا يشأن جهاد!

-جهاد! غريب، انه فتى رائع يتلاءم بسرعة مع واقع الحياة.

-انه كتوم، ولكنه قنبلة عاطفية لاأدري متى تنفجر.. يفتقد حب الأم ورعايـة الأب وصحبة الرفاق الذين يغارون منه لتفوقه، واهتمام نورا على الأخص التي أعطت حنانها لوسيم في هذه العطلة الصيفية..

-لا أصدق.. انه يلقى من رعايتك ما لا يلقاه فتى من أمه وأبيه..

-لا أستطيع أن أكون بديلا عمن خسرهم من أحباب.. وسيم أكثر تلاؤما مع الحياة ، تنزلق همومه وأحزانه بسرعة عن كتفيه لأنه يعبر عنه بالإغماء والبكاء، وسرعان مـا يجد البديل..

-أنت على حق.. لقد انسجم كثيرا معنا.. أحب كريم كما أحب غبد الرحمن دون أن يدري أنه أبوه، وأحبني مثل ما كان يجب ثريا..

-خوفي بالنسبة لوسيم أنه سيقع أيضا في حب داليا التي زارته في المسـشفى فـي باريس، وأغدقت عليه هدايا كثيرة، وبكت لفراقه حين ودعته..أنا لم أجـرؤ أبـدا علـى إخبارها أن أن وسيم هو عند أبيه، رغم أنها زارتني مرتين في مكتبـي لتـسألني عـن أخباره.. أصبحت أكثر حساسية بأمومتها بعد أن فقدت القدرة على الإنجاب.. ويبدو لـي أن وسيم يبادلها الحب فلقد حدثني عنها بكثير من عرفان الجميل..بل سـألني اذا كانـت موجودة في بيروت ليزورها..

سمعت صياحا من الشاطئ ورأيت الناس يتراكضون.. هناك طفل يغـرق!.. كـان البحر هائجا ورأيت جهاد يعلو به الموج المزمجر وينخفض، ويبتعد عن الشاطئ في كل مرة، وكريم يلحق يه وينادية أن يرجع فلا يرجع وهو يلاحق الطابة التي قـذفها التيـار بعيدا.. صاح الناس:

-هناك طفل يغرق!

وتوقف قلبي عن الخفقان وأنا أشاهد بذهول ما يجري في بحر غاضب يتحداه اثنان هما أعز من لدي من أجل طابة يريد البحر اللئيم أن يلعب بها وحده! ووقفت قربي أسماء ذاهلة هي الأخرى لاتدري ماذا يسفر عن هذا الصراع..

-أنا مذنبة يا جهاد، لأنني لم أقدر أبدا الى أي مدى ينطلق بك قلبك الجموح!

صلّيت بكل جوارحي أن ترعاهما السماء كما رعتنا ونحن صغار نـسرق مركبـا ونعلق في دوامة بحرية وينقذنا والد خالد الصياد..

لا شك أنني أصبت بالإغماء، فلقد فتحت عيني على رؤيـة أسـماء تبلـل رأسـي وتضغط صدري.. وعلى نورا تبكي وتناديني أن أفيق، وقربي جهاد يجـري لـه كـريم الإسعافات الأولية!..

* * *

بعثت رسالة الى عبد الرحمن أخبره فيها ما جرى لجهاد، وقلت له أنه يفتقد عائلتـه بشكل لم أستطع أبدا أن أعوضه عنها، وأن ارادته وجموحه يبعثان الرعب في قلبي فهـو بحاجة الى رقابة أبوية، الى أن تتفجر مواهبه ونارية مزاجه بطريقة ايجابية لا سـلبية.. فمعاناته التي سببتها له وفاة أمه تترك جروحا عميقة في قلبه، وكثيرا ما أسـتيقظ علـى صوته وهو نائم متهدجا بالبكاء، أو ثائرا يشتم ويريد الإنتقام.. انه يصحو وينام على قنبلة عاطفية تهدد بالإنفجار، وما يشاهده على التلفزيون يسارع به الى التضحية بالنفس قبـل الأوان!

أما وسيم فإنه يستطيع أن يكيف نفسه في أي جو كان ولكنني أخشى عليه من أمـه افتي تطالب به بإلحاح والتي استيقظت أمومتها بعد عملية جراحية فقدت فيها القدرة على الإنجاب..

وأخبرته أن كريم يصر على إبقاء وسيم عنده، وهو قادر على أن يوفر لـه جـوا ملائما لطبابة ودراسة ممتازة، ولكن المشكلة في هويته، فهو مسجل في لبنان بأنـه ابـن كريم عباد، وأمه داليا ديب.. أخفيت عنها وجود وسيم طوال العطلة، ولكن هذا لن يخفى عنها طويلا، فهي تلاحق أخبار كريم منذ زواجه، وليس بعيدا ذلك اليوم الذي تلتقي بوسيم صدفة على البحر أو في أحد المطاعم، وتثير المتاعب لأسماء وكريم..

ماذا تنصحني أن أفعل؟ أنا أعلم أنك الأفضل لرعاية الصبيين، ولكنني لا أريـد أن ألقي الأعباء على كتفيك، وخصوصا وأنك وحيد، وليس عندك زوجة تعينك على الحياة..

* * *